سنة العز والتمكين في القرآن الكريم
"دراسة تطبيقية علي سورة يوسف" .

دكتور/ حسين أحمد سليمان محمدين

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين، وبعد،،،

إن من سنن الله عزو جل سنة العز والتمكين الذي لا تتغير ولا تتبدل، بل هي ثابتة علي مر العصور والأزمان، وللتمكين مدلولات تحكمها المهمة، والمهمة في الإسلام واضحة المعالم وهي الاستخلاف في الأرض بما يرضي الله عزوجل، وعمارتها بما يحافظ علي تكريم الله تبارك وتعالي لخلقه.

والمتأمل في قصة يوسف "عليه السلام" يري أن القصة قد مرت بثلاث محن تعقبها ثلاث منح وهي:

١-المحنة الأولي: كيد إخوانه.

٢- المحنة الثانية: مراودة امرأة العزيز له.

٣- المحنة الثالثة: دخول السجن.

ولكنه "عليه السلام" صبر وتحمل كل تلك المحن فعقبتها ثلاث منح وهي:

١-خروجه من السجن .

٢-تمكينه من الأرض.

٣-الجمع بينه وبين أبويه واخوته.

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

١-السنن الإلهية أو الكونية أو الربانية تحت مسمي واحد ومعني واحد، فهي من عند الله سبحانه وتعالي، وهو الذي وضعها وبينها للخلق، إذن فهي من الأمور الواجبة علي الإنسان أن يفهمها ويكون علي دراية تامة بالتنقيب والبحث في كيفية السلوك الصحيح في الحياة .

٢-شدة الحاجة لمعرفة هذه السنة وتطبيقها علي واقعنا المعاصر والاستفادة منها في إصلاح مجتمعنا والارتقاء به، وأسباب ضعف العالم الإسلامي في عدم تمسكه بسنة الله عز وجل وابتعاده عن أسباب النصر من أسباب مادية وأسباب معنوية تتمثل في تقوي الله ونصرة دينه .

٣-سنة العز والتمكين تكون بعد الإبتلاء، فبعد المحن تأتي المنح، ونجد سورة يوسف تتحدث عن أروع وأحسن القصص الذي قال عنها القرآن الكريم: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾(١)

٤- العفو عند المقدرة من أخلاق الأنبياء عليهم السلام.

ثانياً: منهج الدراسة:

المنهج المستخدم في الدراسة هو المنهج التحليلي والذي يبين معرفة سنة االعز والتمكين بعد الابتلاء والصبر، وكيفية تطبيق هذه السنة علي واقعنا المعاصر والاستفادة منها في إصلاح المجتمع والارتقاء به.

ثالثاً: مكونات الدراسة:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات الدراسة.

المبحث الثاني: يوسف (عليه السلام) في محنة السجن .

المبحث الثالث: العز والتمكين بعد المحنة والابتلاء .

المبحث الرابع : الآثار المترتبة علي سنة العز والتمكين .

وبعد ذلك تاتي الخاتمة والتي بها أهم النتائج، وأخيراً المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

(١) سورة يوسف، الآية: ٣ .

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات الدراسة:

إن الحديث عن السنن يُعَدُّ منارة للمسلم اليوم في ظلمات هذا العصر بما فيه من تعقيدات ومعضلات يكون فيها الحليم حيراناً، غير أن المسلم الواعي الذي يتعهد كتاب ربه بالقراءة والعناية والتدبر والفهم هو وحده الوحيد القادر على أن يكون واعياً ومستوعباً لكل ما يجري في هذا الكون من أحداث.

والعلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن يحيل عليها في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم، إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها"([1]).

وسوف نتحدث عن مدلول كلمة السنن في كتب المعاجم ، وهي تعني:

أولاً : مفهوم السنن :

سنه : السين والنون والهاء أصل واحد يدل علي زمان ([2])؛ سنن: سنَّ سنة حسنة: طرق طريقة حسنة، واستن بسنته، وفلان متسنن: عامل بالسنة، والزم سنن الطريق: قصده، وسنيت لك الأمر: يسرته، وسَنَّ الله علي يدي فلان قضاء حاجتي: أجراه ([3]).

وسن الشيء يسنه سناً، فهو مسنون وسنين وسننه: احدّه وصقله، وسنة الله: أحكامه وأمره ونهيه، وسننها الله للناس: بَيَّنَها، وسن الله سنة أي بين طريقاً قويماً، والسنة: السيرة، حسنة أو قبيحة ([4]).

والسنن جمع سنة – بضم السين – وهي السيرة من العمل أو الخلق الذي يلازم المرء صدور العمل علي مثالها، قال لبيد :

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها ([1])

([1]) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا القلموني (ت ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر (١٩٩٠م)، ٢٣/١ .

([2]) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، باب السين والنون وما يثلثهما، ١٠٣/٣ .

([3]) أساس البلاغة، لأبي القاسم جار الله الزمخشري ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولي (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ٤٧٨/١ -٤٨٠ .

([4]) لسان العرب، لابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة (١٤١٤ ه) (س . ن . ن)، ٣٩٩/٦ .

وعن جرير بن عبد الله"ﷺ" عن رسول الله "ﷺ" أنه قال: "من سَنَّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء"([2])

"أي وضع طريقة حسنة والطريقة من المعاني اللغوية للفعل سن وللمصدر سنة.

وما روي عن عمر بن الخطاب "ﷺ" ذكر المجوس، فقال: ماأدري كيف أصنع فى أمرهم ، فقال عبد الرحمن بن عوف، أشهد لسمعت رسول الله "ﷺ" يقول: " **سنوا بهم سنة أهل الكتاب**"([3]) **أي:** خذوهم على طريقتهم وأجروهم في قبول الجزية مجراه والشاهد من ذلك أن للفعل سنَّ معنى السير في الطريقة والسوق إليها.

وفي المفردات للراغب الأصفهاني: " السنن: جمع سنة، وسنة الوجه: طريقته، أي طريقته التي كان يتحراها، وسنة الله تعالي قد تقال لحكمته وطريقة طاعته نحو قوله تعالي:﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ ([4]) .

فتنبيه أن فروع الشريعة وإن اختلفت صورها، فالغرض منها لا يتغير ولا يتبدل ، وهو تطهير النفس وترشيحها للوصول إلي ثواب الله تعالي وجواره ([5])

ومن المعاني السابقة نستطيع أن نقول أن المعني اللغوي لكلمة: (سن) يفيد جريان الشيء أو الحكم أو التصرف علي طريقة واحدة معتادة، وهو يعني أيضاً:

- طريقة حكمة الله تعالي في مجازاته لخلقه، حيث تجري علي وجه واحد والجزاء من جنس العمل .

([1]) تفسير التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) المؤلف: محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر(١٩٨٤ هـ)، ٩٦/٤ .

([2]) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله "ﷺ"، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، ومن دعا إلي هدي أو ضلالة، حديث رقم (١٠١٧) ، ٢٠٥٩/٤ .

([3]) موطأ الإمام مالك، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م، كتاب الزكاة ، باب جزية أهل الكتاب والمجوس ، ٢٧٨/١ .

([4]) سورة الفتح، الآية: ٢٣.

([5]) المفردات فى غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد (الراغب الاصفهاني)، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة – بيروت – لبنان ، ص ٢٤٥ .

- طريقة طاعة الخلق لله تعالي بمقتضي أمره ونهيه، وهي طريقة جارية في الأمم كلها، حيث إن أصولها ثابتة تقوم علي توحيد الله تعالي، وإفراده بالعبودية([1])

مفهوم السنة ومعانيها في القرآن الكريم ([2]):

وردت لفظة "سنة " أو إحدي مشتقاتها ست عشر مرة في إحدي عشرة آية من الكتاب العزيز، فوردت (سنن ، سننتا ، سنة الله ، سنة الأولين ، سنن الذين من قبلكم ، سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا .....) والمعني المراد منها ينقسم إلي قسمين هما :

القسم الأول : سنة الأنبياء السابقين وشرائعهم ومناهجهم، وسنة الصالحين من الأمم السابقة في التحليل والتحريم،: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾([3]) بمعني يبين لكم الطرائق الحميدة ، واتباع الشرائع التي يحبها ويرضاها لهم([4]) ، ويهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التي سلكوها فى دينهم لتقتدوا بها ([5])

القسم الثاني : سنة الله في إهلاك المكذبين ونصر رسله وأوليائه المؤمنين، حيث يقول الحق تبارك وتعالي ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ ([6])

فقد جري هذا علي الأمم الذين كانوا من قبلكم من أتباع الأنبياء ، ثم كانت العاقبة لهم ، والدائرة علي الكافرين ([7])

ولقد جاءت كلمة (سنة) فى القرآن الكريم عادةً بمعني ما بين الله تعالي للإنسانية من طرق واتجاهات الأمم السابقة التي جعلها الله قوانين ثابتة فى البشر والوجود كله دون

([1]) السنن الإلهية حقيقتها وإدراكها في ضوء القرآن الكريم، تأليف: أ.د/ ذو الكفل بن الحاج إسماعيل، مجلة معهد الامام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد السابع، (جمادي الأخرة ١٤٣٠هـ)، ص ٧٢ .

([2]) السنن الالهية (المجلة) السابق نفسه ، ٧٢-٧٤ .

([3]) سورة النساء، الآية : ٢٦ .

([4]) تفسير القرآن العظيم، المؤلف: لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٩ هـ)، ٤٤٢/٣ .

([5]) الموسوعة القرآنية، جمع وتصنيف: إبراهيم الابياري، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م)، الناشر: مؤسسة سجل العرب، ٣٠٠/٩ .

([6]) سورة آل عمران، الآية: ١٣٧ .

([7]) تفسير ابن كثير ١٩٩/٣ .

أن تتغير أو تتبدل، قَالَ تَعَالَى:﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ ([1])، أي لم يتغير ([2])

ولفظ السنة في القرآن الكريم أطلق علي ما هو عليه في لغة العرب بمعني السير والطريق، وسنة الله أي نظامه يجريه في خلقه كما يريد ([3])

والسنن: جمع سنة وهي الطريقة المعبدة والسيرة المتبعة، وكذلك تعني المثال المتبع ([4])، وهي الطريقة المستقيمة المحمودة المرضية المسلوكة في الدين ([5])

ويعرف ابن تيمية رحمه الله السنة فيقول: أن السنة هي العادة في الأشياء المتماثلة، ولفظ السنة يدل على التماثل فإنه سبحانه إذا حكم في الأمور المتماثلة بحكم فإن ذلك لا ينقض ولا يتبدل ولا يتحول، بل هو سبحانه لا يفرق بين المتماثلين، وإذا وقع تغيير فذلك لعدم التماثل، وأنه سبحانه يسوي بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين كما دل القرآن على هذا في مواضع، ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا، ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم يصح الاعتبار، والاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره كالأمثال المضروبة في القرآن، وهي كثيرة ([6])

والسنة هي ما أثر عن النبي "ﷺ" من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية أو سيرة ، سواء كان قبل البعثة أو بعدها ، وهي بهذا ترادف الحديث([7])

هذا ملخص للتعريفات السابقة لكلمة السنة وتتجلي معانيها في أنها مجموعة الطرق الصحيحة والنظم الثابتة القائمة علي أمر الله وحكمته التي يسير الله بها الحياة وينظم أمر الكون من خلالها .

([1]) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٩ .

([2]) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ينسب: لعبد الله بن عباس "رضي الله عنهما" (ت ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، الطبعة الأولي (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، الناشر: دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ص ٤٨ .

([3]) معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) الطبعة الثانية، ٦٠١/١

([4]) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، ١٤٠/٤ .

([5]) الكليات (معجم فى المصطلحات والفروق الفردية) لأبي البقاء أيوب بن موسي الكفوي، أعده : د/ عدنان درويش، محمد المصري، الطبعة الثانية (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) مؤسسة الرسالة ، ص ٤٩٨ – ٤٩٩ .

([6]) جامع الرسائل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء، ص ٥٥.

([7]) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، د. مصطفي السباعي، الطبعة الأولي (١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م)المكتب الإسلامي (دار الوراق للنشر والتوزيع)، ص ٦٥ .

ثانياً: مفهوم العز :

العِزُّ: خلاف الذُلّ. ومطر عز، أي شديد. وعز الشئ يعز وعزة وعزازة، إذا قلَّ لا يكاد يوجد، فهو عزيز، وعزه أيضاً يَعُزُّهُ عَزًّا: غلبه. وفي المثل: " مَنْ عَزَّ بَزَّ "، أي من غلب سلب. والاسم العِزَّةُ، وهي القوة والغلبة. ([1]).

عز: العز: خلاف الذل، وعز الشيء، إذا لم يقدر عليه، وعززت فلاناً على أمره، إذا غلبت، وقد أعززت بما أصاب فلاناً، إذا عظم عليك، واستعز على المريض، إذا اشتد مرضه([2]).

عزز: العزيز: من صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنى؛ قال الزجاج: هو الممتنع فلا يغلبه شيء، وقال غيره: هو القوي الغالب كل شيء، وقيل: هو الذي ليس كمثله شيء. ومن أسمائه عز وجل المعز، وهو الذي يهب العز لمن يشاء من عباده، والعز: خلاف الذل.

وفي الحديث الشريف قال لعائشة " رضي الله عنها": هل تدرين لم كان قومك رفعوا باب الكعبة؟ قالت: لا، قال: تعززا أن لا يدخلها إلا من أرادوا أي تكبرا وتشددا على الناس، وجاء في بعض نسخ مسلم: تعززا، براء بعد زاي، من التعزير والتوقير، فإما أن يريد توقير البيت وتعظيمه أو تعظيم أنفسهم وتكبرهم على الناس. والعز في الأصل: القوة والشدة والغلبة. والعز والعزة: الرفعة والامتناع، والعزة لله تبارك وتعالي([3]).

ثالثاً: مفهوم التمكين:

مَكّنَ: مكنه الله من الشيء وأمكنه منه بمعني واستمكن الرجل من الشيء وتمكن منه، وفلان لا يمكنه النهوض، أي لا يقدر عليه([4]).

مكن: الميم والكاف والنون كلمة واحدة، والمكنات: أوكار الطير([5]).

([1]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

([2]) مجمل اللغة لابن فارس، تأليف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

([3]) لسان العرب، المؤلف: محمد بن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ، ٣٤٧/٥.

([4]) الصحاح، باب (مكن) ٢٢٠٥/٦.

([5]) مقاييس اللغة، باب (مكن) ٣٤٣/٣ وما بعدها.

مكن: المَكْنُ والمَكِنُ: بيض الضبة والجرادة ونحوهما، واحدته مَكْنَةٌ ومَكِنة بكسر الكاف، وقد مكنت الضبة وهي مكنون وهي ممكن إذا جمعت البيض في جوفها، والجرادة مثلها([1]).

المكان عند أهل اللغة، وهو يعني الموضع الحاوي، ومتمكن ذي قدرة ومنزلة، والمكان: مفعل من الكون ولكثرته في الكلام أجري مجري الفعال، فقيل: تمكن وتمسكن([2]).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾([3])

والمعني: ولقد مكنا الأمم السالفة في الدنيا من الأموال والأولاد، وأعطيناهم منها ما لم نعطكم مثله ولا قريباً منه([4]).

وقال جل شأنه: ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ ([5])، أي ذي مكانة وجاه عند ربه يعطيه ما سأله، يقال: مكن فلان لدي إذا كانت له عنده حظوة وقدر ومنزلة([6]).

فمن خلال ما سبق يتبين لنا أن معني كلمة التمكين: القدرة علي الشيء والظفر به، وكذلك تعني القدر والمنزلة.

والتمكين: هو سنة كونية، وهو تمكين دائم لأنه مقرون بالأهداف المرتبطة تماماً بمهمة الإنسان وخلقه وتكريمه وحقوقه والتوازن بين الحقوق؛ والهدف من ذلك كله هو إعلاء كلمة الله([7])، وهو أيضاً الهدف الأكبر لكل مفردات العمل من أجل الإسلام([8]).

([1]) لسان العرب، فصل الميم، ٤١٢/١٣.

([2]) المفردات في غريب القرآن، لأبو القاسم الحسين الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر/ دار القلم – الدار الشامية – دمشق ببيروت، الطبعة الأولي (١٤١٢ هـ)، باب (مكن)، ٧٧٢/١ وما بعدها.

([3]) سورة الأحقاف، الآية: ٢٦.

([4]) تفسير ابن كثير ٢٦٥/٧.

([5]) سورة التكوير، الآية: ٢٠.

([6]) تفسير المراغي ٥٧/٣٠.

([7]) التمكين من دولة المواطنة إلي دول الإسلام، رسالة في التمكين وحركة التاريخ، تأليف: المهندس/ محمد صالح البدران، تقديم د/ جاسم السلطان، إصدار يقظة الفكر ديسمبر (٢٠١٠م) ص ٢٣.

([8]) سبل التمكين لدين رب العالمين (تمكين النبات)، لأبو جعفر العراقي، الحلقة الأولي (كتيبات صغيرة)، ص ١٦.

وهو يعني دراسة أنواع التمكين وشروطه وأسبابه ومراحله وأهدافه ومعوقاته من أجل رجوع الأمة إلي ما كانت عليه من السلطة والنفوذ والمكانة من دنيا الناس([1]).

ومن خلال التعريفات السابقة يتضح لنا أن التمكين هو:

- سنة كونية تؤدي إلي أهداف معينة.
- الهدف من التمكين إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالي.
- سلطة ونفوذ الأمة الإسلامية.
- العزة للإسلام والمسلمين والذل والهوان للكافرين الجاحدين.
- العمل من أجل رفع راية الإسلام عالية خفاقة.

إن التمكين لله ورسوله هو التمكين الصحيح بأن يوقر في القلوب والنفوس، وهو الفيصل بين الحق والباطل، بالدعوة وفق تدرج الدعوة إلى الله "ﷻ" بما أراد وبالكيفية التي أرادها، لها بحصرها بوسائل تقود الجهلة من الأمة إلى فساد مقاصد شريعتها([2])

والنصر والتمكين للمسلمين يكون باتباع أوامر الله "ﷻ" ورسوله واجتناب ما نهى عنه، وبتطبيق الشريعة الإسلامية، والعمل على رفع راية الإسلام عالية خفاقة وإظهار سماحة الدين الإسلامي تجاه الأديان الأخرى .

([1]) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه – شروطه – أسبابه – مراحله وأهدافه)، تأليف: د/ محمد علي الصلابي، الطبعة الأولي (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)، ص ١١.

([2]) التمكين من دولة المواطنة إلى دولة الإسلام ، لمحمد صالح البدراني، ص٢٥

المبحث الثاني: يوسف (عليه السلام) في محنة السجن :

إن المتأمل في قصة يوسف يجدها تحمل في طياتها العبر والدلالات الكبيرة من أن العاقبة للمتقين، قال الله تبارك وتعالي﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣ ﴾ (١).

والمقصود بأحسن القصص: لخلوه عن الأمر والنهى الذي سماعه يوجب اشتغال القلب بما هو يعرض لوقوع التقصير، وفيه ذكر الأحباب(٢).

وعن مصعب بن سعد، عن أبيه "رضي الله عنهما" في قول الله تبارك وتعالى: {الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص} [يوسف: ١-٢] الآية قال: فنزل القرآن على رسول الله "ﷺ" قال: فتلا عليهم زمانا فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله عز وجل {الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص} [يوسف: ١] فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل {الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها} [الزمر: ٢٣] كل ذلك يؤمرون بالقرآن أو يؤدبون بالقرآن (٣).

فكانت سورة يوسف من أحسن القصص وأفضله وتسلية للرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه .

ونتطرق بعد ذلك للحديث عن ما ارادت فعله امراة العزيز، من إدخال يوسف عليه السلام السجن، ومن بدأت المحنة والتي تعقبها بعد ذلك منحة؛ فبعد حقد إخوته عليه وحسدهم وبعد الإلقاء في الجب، وبعد الرق في بيت العزيز، وبعد الاغراء والاتهام بالفاحشة يأتيه البلاء بالسجن، ومن هنا لنا في الأنبياء عليهم السلام القدوة والأسوة الحسنة في أنهم يبتلون بأنواع من البلايا فيضربون أروع الأمثلة في الصبر والرضا، وبيان حقارة الدنيا وهوانها.

---

(١) سورة يوسف، الآية:٣ .

(٢) لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ات ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الثالثة ، ١٦٦/٢.

(٣) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، تأليف: أبو بكر أحمد المعروف بالبزار (ت ٢٩٢هـ) تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ٣٥٢/٢.؛ وكذا فى المستدرك على الصحيحين، تأليف: أبو عبد الله بن الحكم النيسابوري المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠، باب تفسير سورة يوسف، ٢/ ٣٧٦.

وبعد ذلك دخل يوسف السجن ومعه فتيان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (١)

قال قتادة: كان أحدهما ساقي الملك، والآخر خبازه، قال السدي: كان سبب حبس الملك إياهما أنه توهم أنهما تمالآ على سمه في طعامه وشرابه، وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة، وصدق الحديث، وحسن السمت، وكثرة العبادة، صلوات الله عليه وسلامه.

ومعرفة التعبير والإحسان إلى أهل السجن، وعيادة مرضاهم، والقيام بحقوقهم. ولما دخل هذان الفتيان إلى السجن تآلفا به وأحباه حبا شديدا وقالا له: والله لقد أحببناك حبا زائدا(٢).

وهذه هي النبوة والرسالة أن عرض عليهم نفسه فأحبوه وأحبهم؛ ومن بعد ذلك اتخذ الدعوة لكي يدعو إلي دين الله عزوجل حتي وهو في السجن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٣)

والمعني أنه قال: وهذا إنما هو من تعليم الله إياي، لأني اجتنبت ملة الكافرين بالله واليوم الآخر، فلا يرجون ثوابا ولا عقابا في المعاد واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب الآية، يقول: هجرت طريق الكفر والشرك، وسلكت طريق هؤلاء المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى، واتبع طريق المرسلين، وأعرض عن طريق الضالين، فإن الله يهدي قلبه، ويعلمه ما لم يكن يعلم، ويجعله إماما يقتدى به في الخير، وداعيا إلى سبيل الرشاد.

ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس هذا التوحيد وهو الإقرار بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له من فضل الله علينا أي أوحاه إلينا وأمرنا به(٤).

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٣٣٢/٤.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٣٧.

(٤) تفسير ابن كثير ٣٣٣/٤.

وهو هنا يفتخر بفضل الله عليه وعلي آبائه من قبل، وهذا الفضل هو النجاة من الشرك والإنعام والإكرام عليه بالإيمان، ومن ثم أخذ يدعوهم الي الله عزوجل وانه انتهز الفرصة في تقربه إليهم؛ ومن ثم نشر الدعوة إلي توحيد الربوبية لله تبارك وتعالي .

وهكذا تكون سنة الله في الخلق أن يجعل لهم المحن ثم بعد ذلك تعقبها المنح، وما أجملها من منح ربانية تنسي صاحبها آلام وصعاب المحن.

ويوسف في السجن إذ تأتية البراءة ويخرج من السجن، وذلك عندما جاء رسول الملك من عند يوسف بما أرسله إليه، جمع النسوة وقال لهم سائلاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (١).

ويعني بقوله: (ما خطبكن)، ما كان أمركن، وما كان شأنكن (إذ راودتن يوسف عن نفسه) فأجبنه فقلن: (حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق)، تقول: الآن تبين الحق وانكشف فظهر، (أنا راودته عن نفسه) وإن يوسف لمن الصادقين في قوله: (هي راودتني عن نفسي) (٢).

بدأ بهن حتى أقررن أنه كان بريئًا ما قرف به واتهم، ثم أقرت امرأة الملك بعد ذلك لما أقر النسوة (٣).

وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي أي لا أنزهها تنبيهاً على أنه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله، بل إظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتوفيق. وعن ابن عباس أنه لما قال: لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك. إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ من حيث إنها بالطبع مائلة إلى الشهوات فتهم بها، وتستعمل القوى والجوارح في أثرها كل الأوقات. إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إلا وقت رحمة ربي، أو إلا ما رحمه الله من

(١) سورة يوسف، الآية: ٥١.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ١٣٧/١٦-١٣٨.

(٣) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تأليف: محمد أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ٢٥٢/٦.

النفوس فعصمه من ذلك. وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة ([1]).

([1]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تأليف: ناصر الدين بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى (١٤١٨ هـ)، ٣/١٦٦-١٦٧.

المبحث الثالث: العز والتمكين بعد المحنة والابتلاء:

وذلك لما كان من سنة الله عزوجل في هذا الكون أن المنح دائما تكمن في المحن، وأن الفرج دائما يكون بعد شدة الكرب، واليسر دائماً يأتي بعد العسر، فقد خرج يوسف عليه السلام من المحن إلي المنح.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧ ﴾ (١)

قال يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم، ومن هنا فقد مدح نفسه، ويجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره للحاجة، وذكر أنه حفيظ أي خازن أمين، عليم ذو علم وبصيرة بما يتولاه (٢).

نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين أي وما أضعنا صبر يوسف على أذى إخوته وصبره على الحبس بسبب امرأة العزيز، فلهذا أعقبه الله عز وجل السلام والنصر والتأييد، ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون يخبر تعالى أن ما ادخره الله تعالى لنبيه يوسف عليه السلام في الدار الآخرة أعظم وأكثر وأجل مما خوله من التصرف والنفوذ في الدنيا(٣).

قالت امرأة العزيز: (سبحان الذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته، وجعل الملوك عبيداً بمعصيته) يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، يعز من يشاء ويذل من يشاء.

أما في رسول الله يوسف أسوةٌ لمثلك محبوساً علي الظلم والإفك.
أقام جميل الصبر في الحبس برهةً فآل به الصبر الجميل إلي الملك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ ﴾ (٤)

(١) سورة يوسف، الآيات: ٥٥-٥٧.
(٢) تفسير ابن كثير ٣٣٨/٤-٣٣٩.
(٣) تفسير ابن كثير ٣٣٩/٤.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٥٦.

وكما أنقذنا يوسف من أيدي إخوته وقد هموا بقتله، وأخرجناه من الجبّ بعدَ أن ألقي فيه، فصيرناه إلى الكرامة والمنزلة الرفيعة عند عزيز مصر، كذلك مكنّا له في الأرض، فجعلناه على خزائنها([1]).

والناس لا يرون الجب إلا مكاناً مظلماً موحشاً كئيباً، يضيق علي من وضع فيه ويصير بالنسبة له محنة، أما المؤمن فيري ذلك منحة في صورة المحنة، فهو يعلم أن الله لا يضيع أهله وأولياءه، وسيجعل من بعد عسر يسرا، فلا يملك إلا أن يصبر ويحتسب ويضرع إلي ربه في شدته وبلاءه وكربه، فيتداركه سبحانه بمنه وكرمه ورحمته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ ([2])، والمعني لا تحزن مما أنت فيه فإن لك من ذلك فرجاً ومخرجاً حسناً وسينصرك الله عليهم ويعليك ويرفع درجتك وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصنيع([3]).

ولنعلم جميعا أن الإصلاح لا يكون إلا بالرجوع إلي الله عزوجل وبطاعته، فإن الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالي، وهذا هو الطريق القيم الذي سلكه الأنبياء جميعا عليهم الصلاة والسلام.

وتمضي بنا الآيات البينات حول اجتماع يوسف باخوته، حيث يقول الحق تبارك وتعالي قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾([4])

وكان سبب مجيئهم يوسفَ لما اطمأن يوسف في ملكه، وخرج من البلاء الذي كان فيه، وخلت السنون المخصبة التي كان أمرهم بالإعداد فيها للسنين التي أخبرهم بها أنها كائنة، جُهد الناس في كل وجه، وضربوا إلى مصر يلتمسون بها الميرة من كل بلدة. وكان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد، قد آسى بينهم، وكان لا يحمل للرجل إلا بعيرًا واحدًا، ولا يحمل للرجل الواحد بعيرين، تقسيطًا بين الناس، وتوسيعًا

([1]) تفسير الطبري ٢٠/١٥.

([2]) سورة يوسف، الآية: ١٥.

([3]) عظات وعبر في قصص الأنبياء، تأليف: سعيد عبدالعظيم، الناشر: دار الايمان٢٠٠٢، ص ٣٨٤.

([4]) سورة يوسف، الآية: ٥٨.

عليهم، فقدم إخوته فيمن قدم عليه من الناس، يلتمسون الميرة من مصر، فعرفهم وهم له منكرون، لما أراد الله عزوجل أن يبلغ ليوسف عليه السلام فيما أراد ([1]).

([1]) تفسير الطبري ١٥٣/١٦.

المبحث الرابع: الآثار المترتبة علي سنة العز والتمكين:

أولاً: الاحسان سبب لسعادة العبد في الدنيا والآخرة:

فإن يوسف (عليه السلام) ضرب لنا أروع الأمثلة في الإحسان، حيث يظهر لنا من خلال قصته أنه كان من المحسنين، يقول الحق تبارك وتعالي﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١)

وقد شهدوا له أيضاً ممن دخلوا معه السجن، قال تعالي: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٢) وشهد له إخوته بذلك أيضاً، قال تعالي: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٣) ويخبر (عليه السلام) عن نفسه بما اكرمه الله من فضل ومنة أن هذا كله جزاءً لإحسانه وتقواه وصبره، قال تعالي: ﴿ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (٤)

أنواع الإحسان:

الإحسان: هو أن يعتقد العبد وهو يعبد الله عزوجل في هذه الدنيا أن الله يراه ومطلع عليه.

١ -إحسان فيما بين العبد وبين ربه.

٢ -الإحسان في العمل.

٣ -الإحسان إلي الغير.

---

(١) سورة يوسف، الآية ٢١-٢٢.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٦.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٧٨.

(٤) سورة يوسف، الآية : ٩٠.

ثانياً: العفو عند المقدرة من صفات المحسنين:

ونجده عليه السلام عفا عن اخوته وقد فعلوا فيه ما لا يفعله العدو بعدوه، ألقوه في غيابة الجب ولم يمنعهم من ذلك صغر يوسف وتعلق أبيهم به وعدم صدور اي إساءة منه لهم، عقا عنهم وهو في مقام السلطة والقدرة وهم في مقام الذلة والضعف، ولما اعترفوا بذنوبهم بعد أن عرفهم بنفسه بأن ذكرهم بما فعلوه بيوسف قال لهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (١)

أي لا تعيير ولا توبيخ ولا تقريع عليكم اليوم، وقد تجاوز عنهم واستغفر لهم وعفا عنهم بعد مقدرته عليهم علي قوته وضعفهم؛ وها هي ذا أخلاق النبيين والصالحين العفو عند المقدرة ودفع السيئة بالحسنة.

ولنا في رسول الله "ﷺ" الأسوة والقدوة الحسنة، عن جابر "رضي الله عنه" : أنه غزا مع رسول الله "ﷺ" قِبَلَ نجدٍ، فلما قفل رسول الله "ﷺ" قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة، فنزل رسول الله "ﷺ" وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله "ﷺ" تحت شجرة وعلق بها سيفه، ونمنا نومة ، فإذا برسول الله "ﷺ" يدعونا، وإذا عنده أعرابي فقال: " إن هذا اخترط علي سيفي وانا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا، فقال من يمنعك مني ؟ فقلت: الله، - ثلاثا - " ولم يعاقبه وجلس(٢).

وعن عبد الله بن مسعود "رضي الله عنه"، قال: لما كان يوم حنين، آثر النبي "ﷺ" أناسا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسا من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن النبي "ﷺ"، فأتيته، فأخبرته، فقال: «فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر» (٣).

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٩٢.

(٢) صحيح البخاري، باب من علق سيفه بالشجر في السفر، حديث رقم (٢٩١٠)، ٣٩/٤.

(٣) صحيح البخاري، باب ما كان النبي "ﷺ" يعطي، حديث رقم (٣١٥٠)، ٩٥/٤.

ثالثاً: الأخذ بالأسباب والتوكل علي الله من أسمي الغايات:

لقد أمر يعقوب "عليه السلام" بنيه بأن لا يدخلوا من باب واحد بل من أبواب متفرقة، وذلك حتي لا يصيبهم مكروه، والأسباب لا تفضي إلي مسبباتها إلا بإزالة الموانع عن إفضائها إلي هذه المسببات بقضاء الله ومشيئته، والاعتماد يكون علي الله عزوجل وهذا الأمر قلبي وليس علي مباشرة الأسباب.

وأوحي إلي يوسف "عليه السلام" في هذه الحالة المزعجة أن الأمر سيكون إلي خير وسعة، وبعد هذه الإهانة الصادرة من إخوتك لك ستكون لك الأثرة عليهم والعاقبة الحميدة، وفي هذا من اللطف والتسلية وتخفيف البلاء ما هو من أعظم نعم الله علي العبد .

وفي النهاية يسأل العبد حسن الخاتمة وتمام النعمة، ويتوسل بنعمه الحاصلة إلي ربه أن يتمها عليه ويحسن له العاقبة، قال تعالي: ﴿ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١ ﴾ (١)

وطلب لقاء الله، وطلب جوار الله، وطلب ما عند الله، لأنه يعلم أن ما عند الله خير وأبقي مما في هذه الدار الفانية الزائفة.

ولذا فقد جمعت هذه الدعوة الإقرار بالتوحيد والاستسلام للرب وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاة غيره سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام أجل غايات (٢).

هذا دعاء من يوسف الصديق "عليه السلام"، دعا به ربه عز وجل لما تمت نعمة الله عليه باجتماعه بأبويه وإخوته، وما من الله به عليه من النبوة والملك سأل ربه عز وجل كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة، وأن يتوفاه مسلما حين يتوفاه، قاله الضحاك: وأن يلحقه بالصالحين وهم إخوانه من النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين(٣).

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

(٢) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، تأليف: محمد بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٠ه)ـ، ١/ ٣٣١.

(٣) تفسير ابن كثير ٣٥٤/٤.

الخاتمة:

بعد توفيق الله عز وجل في كتابة هذا البحث وإخراجه علي الصورة المرادة، توصلت إلي أهم النتائج وهي كالتالي:

١- أوضحت الدراسة أن إدراك السنن الإلهية يقود الي اليقين، ولذا فإن السنن الإلهية تؤكد ترتب النتائج علي المقدمات، وارتباط الأسباب بالمسببات، ومجازاة العباد بما كسبت أيديهم.

٢- الاستخلاف فى الأرض والعز والتمكين لدين الله تبارك وتعالي وإبدال الخوف أمناً وعدٌ من الله تبارك وتعالي متي حقق المسلمون شروطه.

٣- بينت الدراسة أن سنة الابتلاء تحقق العديد من الحكم والتي منها: استخراج العبودية لله تعالي، تربية النفس علي المحن، تمحيص المؤمنين واختبارهم، محو الذنوب وتكفير الخطايا ورفع الدرجات فى الآخرة.

٤- سنة الابتلاء سنة لا بد منها للوصول إلي العز والتمكين.

٥- الإخلاص لله تبارك وتعالي أكبر الأسباب لحصول كل خير واندفاع كل شر.

٦- ولعل من أهم أهداف وثمار العز والتمكين هو إقامة الفرد المسلم، ثم الأسرة المسلمة، ثم المجتمع المسلم، وأخيراً الدولة المسلمة فى نشر الدعوة إلي الله تبارك وتعالي.

أهم المصادر والمراجع:

١- أساس البلاغة، لأبي القاسم جار الله الزمخشري ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولي (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تأليف: ناصر الدين بن محمد البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٨ ه).

٣- تفسير التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) المؤلف: محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر(١٩٨٤ هـ).

٤- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا القلموني (ت ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر (١٩٩٠م) .

٥- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٩ هـ).

٦- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، تأليف: محمد بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٠ه).

٧- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تأليف: محمد أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥.

٨- تفسير المراغي، تأليف: أ.د/ أحمد مصطفي المراغي، أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم سابقاً، الناشر: مطبعة مصطفي البابي الحلبي، الطبعة الأولي (١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م).

٩- التمكين من دولة المواطنة إلي دول الإسلام، رسالة في التمكين وحركة التاريخ، تأليف: المهندس/ محمد صالح البدران، تقديم د/ جاسم السلطان، إصدار يقظة الفكر ديسمبر (٢٠١٠م) .

١٠- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ينسب: لعبد الله بن عباس "رضي الله عنهما" (ت ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، الطبعة الأولي (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، الناشر: دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان).
١١- جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٢- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، الناشر/ مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولي (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
١٣- جامع الرسائل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء.
١٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله "ﷺ" وسننه وأيامه، المعروف بصحيح البخاري، المؤلف: لأبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، قام بشرحه وتصحيح تجاربه وتحقيقه: محب الدين الخطيب، الناشر: المكتبة السلفية بالقاهرة، الطبعة الأولى(١٤٠٠هـ).
١٥- سبل التمكين لدين رب العالمين (تمكين النبات)، لأبو جعفر العراقي، الحلقة الأولي (كتيبات صغيرة).
١٦- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، د. مصطفي السباعي، الطبعة الأولي (١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م)المكتب الإسلامي (دار الوراق للنشر والتوزيع) .
١٧- السنن الإلهية حقيقتها وإدراكها في ضوء القرآن الكريم، تأليف: أ.د/ ذو الكفل بن الحاج إسماعيل، مجلة معهد الامام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد السابع، (جمادي الأخرة ١٤٣٠هـ).
١٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
١٩- عظات وعبر في قصص الأنبياء، تأليف: سعيد عبدالعظيم، الناشر: دار الايمان٢٠٠٢.
٢٠- فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه – شروطه – أسبابه – مراحله وأهدافه)، تأليف: د/ محمد علي الصلابي، الطبعة الأولي (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م).

٢١- الكليات (معجم فى المصطلحات والفروق الفردية) لأبي البقاء أيوب بن موسي الكفوي، أعده : د/ عدنان درويش، محمد المصري، الطبعة الثانية (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) مؤسسة الرسالة .
٢٢- لسان العرب، المؤلف: محمد بن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
٢٣- لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة.
٢٤- مجمل اللغة لابن فارس، تأليف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
٢٥- المستدرك على الصحيحين، تأليف: أبو عبد الله بن الحكم النيسابوري المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.
٢٦- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، تأليف: أبو بكر أحمد المعروف بالبزار (ت ٢٩٢هـ) تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.
٢٧- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله "ﷺ"، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٨- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، الطبعة الثانية(١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
٢٩- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
٣٠- المفردات فى غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد (الراغب الاصفهاني)، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة – بيروت – لبنان .

٣١- المفردات في غريب القرآن، لأبو القاسم الحسين الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر/ دار القلم – الدار الشامية – دمشق ببيروت، الطبعة الأولي (١٤١٢ هـ).

٣٢- الموسوعة القرآنية، جمع وتصنيف: إبراهيم الابياري، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م)، الناشر: مؤسسة سجل العرب.

٣٣- موطأ الإمام مالك، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.